

الشعر في عهد الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه

بقلم الدكتور يحيى الجبوري

وعلى الرغم من ان عهد الامام لم يكن عهد دعة واستقرار كي نجد احداثا كثيرة له مع الشعراء ، فان ذلك لا يعني ان عليا كان يعرض عن الشعر او يهمل الشعراء ، اذ لو صح هذا الفرض لمنع غالب بن صعصعة من تعليم ابنه الشعر ، فقد دخل غالب على علي ايام خلافته — وغالب شيخ كبير — ومعه ابنه همام (الفرزدق) وهو غلام يومئذ ، فقال علي : من هذا الغلام معك ؟ قال : هذا ابني ، قال : ما اسمه ؟ قال : همام وقد رويته الشعر يا امير المؤمنين وكلام العرب ويوشك ان يكون شاعرا مجيدا . (٢)

وقد كان علي يعطي على الشعر والكلام الحسن ، ففي رواية اذكرها بتمامها لطرافتها : ان اعرابيا (٣) وقف على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال : ان لي اليك حاجة رفعتها الى الله قبل ان ارفعها اليك ، فان انت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك ، وان لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك ، فقال له علي : خط حاجتك على الارض فاني ارى الضر عليك ، فكتب الاعرابي على الارض : اني فقير . فقال علي : يا فتبر ادفع اليه حلتي الفلانية ، فلما اخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف اكسوك من حسن التناحلا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه
كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

الحديث عن الشعر في عهد علي لا بد ان يتعرض لثلاثة جوانب كل منها يكمل الاخر ويتمه : اولها ميل علي ابن ابي طالب الى الشعر وبصره به وحكمه عليه ونظرته الى الشعراء وتشجيعهم وصلتهم . وثانيها ان عليا عرف بشعر وشاعرية وقال الابيات والمقطعات في مناسبات شتى ونسب اليه ديوان وشعر كثير فيه قليل مما يصح وكثير مما لا تصح نسبته اليه . وثالثها ان خلافته حفلات باحداث سياسية وحرية كان الشعر معبرا عنها ومصورا لاحداثها .

ولكي نستطيع ان نجلو صورة الشعر في عهد علي لا بد من التأكيد على كل من هذه الجوانب وربطها باحداثها وظروفها .
علي والشعر :

كان الامام علي يقدر الشعر ويحبه ويتمثل به ويرويه وينظمه ويحكم عليه ، روى ابن رشيقي ان عليا كان يقول : (الشعر ميزان القول) (١) ورواه بعضهم : (الشعر ميزان القوم) وفي كلا الروايتين يعطي للشعر قيمته الرفيعة وان كنت ارجح الرواية الاولى وانحى الثانية ، اذ لا يصح ان يكون الشعر ميزانا للناس ، فقد يرفع الشعر وضيعا — وكثيرا ما رفع — وقد يضع رفيعا او يهون من قدره ، وخير الشعر اكذبه ، كما يقول زهير . ولكن الشعر بما له من موسيقى تزن الكلام وتنغمه وتساقق العبارة وتنسقها ، يكون ميزانا للقول المهذب الجميل .

عنه ابن اسحق هذا الشعر ونسبه الى علي ، على قدر كبير من العلم بالشعر وبالرجال ، بحيث يوفق هذا التوفيق في اضافة الاشعار لمن يمثلون معانيها في اقوالهم وخطبهم .

فاما القصيدة الاولى فقد قيلت في بدر ، وهي من جياذ القوائد التي تصور بلاء المسلمين ونصرهم ، وظهور دين الله على دين الشرك والوثنية ، وفيها ذكر لهزيمة المشركين من قريش ، وتذكيرهم بعذاب الآخرة ، قيل : (٦) .

الم تر ان الله ابلى رسوله

بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل

بما انزل الكفار دار مذلة

فلاقوا هوانا من اسار ومن قتل

فامسى رسول الله قد عز نصره

وكان رسول الله ارسل بالعدل

ويذكر فيها المشركين وما ينتظرهم من عذاب الآخرة :

دعا الفى منهم من دعا فاجابه

ولفى اسباب مرقعة الموصل

فاضحوا لدى دار الجحيم بمعزل

عن الشغب والعدوان في اشغل الشغل

وكان الحارث بن هشام قد اجابه بنقيضة منها :

عجبت لاقوام تغنى سفيهم

بامر سفاه ذي اعتراض وذي بطل

تغنى بقتلى يوم بدر تتابعوا

كرام المساعى من غلام ومن كهل

وقد قال ابن هشام في القصيدتين : ولم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها وانما كتبناهما لانه يقال : ان عمرو بن عبد الله بن جدعان قتل يوم بدر ولم يذكره ابن اسحق في القتلى وذكره في هذا الشعر . اما الموضع الثاني الذي ورد فيه شعر منسوب لعلي بن ابي طالب في السيرة ، ففي احداث احد ، حيث ذكر له رجز ، نبه ابن هشام الى ان بعض اهل العلم بالشعر يقول : ان رجلا من المسلمين قاله ، والشعر هو هذا الرجز : (٧)

لا هم ان الحارث بن الصمه

كان وقيا وبنا ذا نمه

اقبل في مهامه مهمه

كليلة ظلماء مدلمه

بين سيوف ورماح جمه

يبغى رسول الله فيها ثمه

اما القصيدة الثالثة فقد قيلت يوم اجلاء بني

النضير ، وقتل كعب بن الاشرف اليهودي ، قال :

عرفت ومن يعتدل يعرف

وايقنت حقا ولم اصدف

لا ترهد الدهر في عرف بدأت به

فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فقال علي : يا قنبر اعطه خمسين دينارا ، اما الحلة فلبسالك ، واما الدنانير فلادبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (انزلوا الناس منازلهم) .

وكان يسمع الشعر ينشد بين يديه ، وبخاصة ذلك الشعر الذي يدعو الى مكرمة او يثبت حقا ويدحض باطلا ، فمن ذلك ما كان ينشده النابغة الجعدي في طريقه الى صفين بين يدي الامام : (٤)

قد علم المصرا والعراق

ان عليا فحلها العتاق

ايض ججاج له براق

وامه غالى بها الصداق

اكرم من شد به نطاق

ان الاولى جاروك لا افاقوا

لكم سيات ولهم سيات

قد علمت نلكم الرفاق

سقمم الى نهج الهدى وساقوا

الى التي ليس لها عراق

في ملة عادتھا النفاق

وقد سخر علي بن ابي طالب الشعر في سبيل الصلحة الاسلامية ، والاهداف الحربية وان كانت هذه الاهداف قد غطتها الفتنة ووقفت في سبيلها المصالح والاطماع ، ونحاول هنا ان نظهر دور الشعر الذي استخدمه علي متمثلا او قائلا ، ونثبت هنا من اقواله ما تثبت صحته او ترجح ، معرضين عن الاشعار الموضوعة او المشكوك في صحتها . جاء في السيرة ان عليا كان يرتجز اثناء بناء مسجد الرسول في المدينة :

لا يستوى من يعمر المساجدا

يداب فيه قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

وقد عقب ابن هشام على هذا بقوله : (سألت غير واحد من اهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا : بلغنا ان علي بن ابي طالب ارتجز به فلا يدري اهو قائله ام غيره) (٥) وقد روى ابن اسحق ثلاث قصائد منسوبة لعلي فاذا لم تصح له فلعله كان قد تمثل بها وانشدها ، ويرجح انها قيلت في المعارك الاسلامية الاولى من قبل احد المسلمين ، وقد نظروا في معانيها فرأى الرواة انها تناسب عليا فنسبوها اليه ، وارى ان من الخير ان نتعرف على هذا الشعر ففيه روح اسلامية ، وفيه جزالة تناسب ما عرف عن الامام من فصاحة واسلوب مشرق بليغ ، ولا بد ان يكون المصدر الذي نقل

عن الكلم المحكم اللاء من
لدى الله ذي الرأفة الاراف
والقصيدة في خمسة عشر بيتا ، تفيض بالمعاني
الاسلامية . وقد وردت نقيضة لها لسماك اليهودي ،
حيث يقول : (٨)

ان تفخروا فهو فخر لكم
بمقتل كعب ابي الاشراف

غداة غدوتم على حنقه

ولم يات غدرا ولم يخلف

وكذلك عقب ابن هشام على هذا الشعر ، بأن
احد المسلمين قال القصيدة ، غير علي بن ابي طالب .
وعلى كل حال فالروى للامام علي في السيرة هو من
الشعر الجيد المتين ، على خلاف الشعر الذي ورد في
الكتب المتأخرة فأكثره شعر ضعيف ركيك .
اما اكثر ما روى له من الشعر ، ففي الاحداث
الحربية التي خاضها ابان خلافته ، في مواقع الجمل
وصفين وانتهروان . يروى انه مر بين القتلى بعد معركة
الجمل ، فوجد بينهم طلحة — وكان رماه مروان بن الحكم
في اكله ، حين رجع عن قتال علي ، بعد ان علم ان
الزبير رجع — فوقف عليه فقال : انا لله وانا اليه
راجعون ، والله لقد كنت كارها لهذا ، انت والله كما
قال القائل : (٩) .

فتى كان يذنيه الفنى من صديقه

اذا ما هو استغنى ويبيعه الفقر

كان الثريا علقت في يمينه

وفي خده الشعرى وفي الاخر البدر

وكان الامام عند اعطى الراية الى ابنه محمد بن
الحنفية ، فندمعه الى الحومة وهو يحثه ويقول : (١٠)

اطعنهم طعن ابيك محمد

لا خير في الحرب اذا لم توقد

بالمشرفي والقنا المسرد

وفي صفين سقط قتلى وجرحى من الفريقين ، وكان
من جند علي المرقال وناس من الاسلاميين ، فوقف عليهم
علي ودعا لهم وترجم عليهم وقال من ابيات : (١١) .

جزى الله خيرا عصابة اسلمية

صباح الوجومصرعوا حول هاشم

يزيد وعبدالله بشر بن معبد

وسفيان وابنا هاشم ذي الكارم

وعروة لا ينفذ ثناه ونكره

اذا اخترطت يوما خفاف الصوارم

وكانت الحملة الشديدة على جيش معاوية ، حيث
تفرق وتقهقر ، حتى ظهر جيش علي على قبة معاوية ،
وعلي لا يبر بفارس الاقده وهو يقول : (١٢)

اضربهم ولا ارى معاويه

الاخزر العين العظيم الحاربه

تهوى به في النار ام هاويه

قال المسعودي : وقيل ان هذا الشعر لبديل بن
ورقاء قاله في ذلك اليوم ، ولا يمنع ان يكون علي قد
تمثل به وكثيرا ما كان يتمثل بالشعر في حروبه .
وفي حرب النهروان ، يخرج احد الخوارج يرتجز
بقوله : (١٣)

اضربهم ولو ارى عليا

البسته ابيض مشرفيا

فيخرج اليه علي مجيبا :

يا ايهذا المتغى عليا

اني اراك جاهلا شقيا

قد كنت عن كفاحه شقيا

هلم فابرز هاهنا اليا

ويحمل عليه علي فيقتله . ويخرج اخر فيحمل
على الناس يفتك بهم ويقول : (١٤)

اضربهم ولو ارى ابا الحسن

البسته بصارمي ثوب غبن

ويخرج اليه علي وهو يقول :

يا ايهذا المتغى ابا الحسن

اليك فانظر اينا يلقي الغبن

وحمل عليه علي وشكه بالرمح تاركا الرمح فيه
قائلا : (لقد رايت ابا حسن فرايت ما تكره) .
وكان الامام علي رضوان الله عليه كثيرا
ما يتمثل : (١٥)

تلکم قريش تمناني لتقتلني

فلا وربك ما بروا وما ظفروا

فان هلكت فرهن ذمتي لهم

بذات ودقين لا يعفو لها اثر

وكانه كان يحس ويتوقع ان تعاجله يد الغدر ،
فكان يتأهب للموت ويقول : (١٦)

أشدد حيازيمك للموت فان الموت لا يقيك

ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك

وقد انشد هذين البيتين عندما طعنه ابن ملجم ،
وكان قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح الباب
— باب داره — وكان من جذوع النخل ، فاقتلعه وجعله
ناحية وانحل ازاره فشدده وقال : (اشدد حيازيمك
للموت) .

ومما يذكر هنا ان ابن ملجم كان ايضا ينشد قوله
الذي يوضح فيه سبب غدره بعلي حيث كانت جريته
ثمنا لمهر (قطام) ابنة عمه — وكانت اجمل اهل زمانها—
الموتورة بقتل ابيها واخيها في النهروان ، وقد فرضت

على ابن ملجم ثلاثة الاف وعبدا وقينة وقتل علي فقال
في ذلك : (١٧)

ثلاثة الاف وعبد وقينة
وقتل علي بالحسام المصم
فلا مهر اغلى من علي وان غلا
ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فاذا صحت هذه الرواية ، يكون دافع ابن ملجم
بعيدا عن عقيدة الخوارج . بل يكون مرتكبا في شهوة
امراة .

نسبة الديوان :

لقد درج المتأخرون على عد علي بن ابي طالب
في الشعراء ، ونسبوا اليه شعرا كثيرا . بل جمعوا ذلك
الشعر في ديوان وضعوا عليه اسم الامام . والمتصفح
لذلك الديوان يجد فيه ميزتين . الاولى بعد تلك القصائد
ومجاتها لروح العصر . والثانية اختلاف تلك القصائد
قوة وضعفا ، مما يدل على ان الذين نسبوا اليه تلك
القصائد مختلفون تتباين ثقافتهم . وتختلف ازمانهم ،
على خلاف ما يشير اليه كارلوناينو (١٨) . من ان
الديوان من صنع الشريف المرتضى ابي القاسم علي
ابن طاهر المتوفى سنة ٤٣٦ هـ . وقد كان اول من زعم
هذا الزعم السيد مستقيم زاده احد مؤلفي الاترك .
وكذلك ذهب كليمان هوار (١٩) وقد ذهب بعض الكاتبيين
الى ان واضعه هو الشريف الرضى . جامع نهج
البلاغة ، الا ان شعر الشريف الرضى اقوى . واسلوبه
اكثر اثرا . اما الديوان المنسوب فضعيف الصنعة
ريك السبك . واهى العبارة ، لا يرقى الى كلام
الامام علي بن ابي طالب . ولا الى كلام شاعر مجيد
كالشريف الرضي . (٢٠)

وقد ظن الذين نسبوا الى الامام ما لم يقل ، انهم
يحسنون صنعا ويرفعون من قدره — كما نسبوا اليه
امورا كثيرة هي في عداد الاساطير ومن نسج الخرافة —
وعندنا ان ذلك الصنيع ليس كثيرا . الى الاسلام
والمسلمين والى شخصية الامام ، ولئن كان خليفة
المسلمين منزها عن الشعر واوهام الشعراء واهوائهم ،
خير له وللدن من ان يحسب في عداد الشعراء . الا ان
نزعة التقرب الى العوام تآبى الا ان تحسب الكاذب
والباطيل حول ال البيت ، وتحملهم ما هم بريئون منه ،
ومن تلك الباطيل الكاذبة نسبة الديوان الى علي بن ابي
طالب رضى الله عنه .

وما يدعم ما نذهب اليه ما جاء في الاخبار ان قائلا
قال لطبي — ابان المعركة بين المسلمين وقريش قبل
السلامها — : (اهج عنا القوم الذين يهجوننا) فقال :
ان اذن لي رسول الله فعلت (فقالوا : يا رسول الله
الفتن له ، فقال الرسول : (ان عليا ليس عنده ما يراد

في ذلك منه) او قال : (ليس في ذلك هناك) (٢١) . ولم
يعرف عن علي انه كان يهاجي المشركين في الغزوات
الاسلامية ، حين اشتدت المعركة الشعرية بين شعراء
المسلمين وشعراء المشركين ، مثلما عرفنا عن حسان بن
ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وغيرهم من
شعراء المسلمين ، اللهم الا ما ذكر ابن اسحق في السيرة
النبوية من قصائد يناقض فيها ابن الزبير وقد تعقب
ابن هشام ابن اسحق ، فصحح وهم ابن اسحق فقال :
انها لم تصح مع نقائضها وقد انكرها علماء الشعر .

وقد ذكر ياقوت الحموي عن ابي عثمان المازني ،
انه لم يصح ان عليا تكلم من الشعر بشيء غير بيتين (٢٢) .
على انني اذهب الى ان لعلي اكثر مما يظن ابو عثمان
المازني ، فقد كانت لعلي شاعرية ، وكان يقول الابيات
والمقطوعات تدعوها المناسبة ، او يجيش بها صدره ،
ولكن لم تكن تلك الشاعرية منصرفا الى الشعر بحيث
تؤلف ديوانا . وكذلك كان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فاذا ما تورنت شاعرية علي بشاعرية
ابي بكر وعمر ، كان علي اخصب شاعرية واكثر شعرا ،
ذكر ان سعيد بن المسيب قال : (كان ابو بكر شاعرا ،
وعمر شاعرا .) وعلى اشعر الثلاثة (٢٣) .

والملاحظ ان شعر الفترة النبوية يكثر فيه الوضع
(٢٤) فلا يصح ان يؤخذ دون فحص وتمحيص ، وقد كان
هم الواضعين ان يحملوا اصحاب رسول الله وال بيته
كثيرا من ذلك الشعر الفاسد المصنوع ، فقد نسبوا
ديوانا لعلي بن ابي طالب ، كما نسبوا ديوانا لابيه ابي
طالب وكذلك وضعوا قصائد على لسان حمزة عم رسول
الله ، وكذلك فعلوا مع طالب بن ابي طالب وغيرهم ،
وان كنا لا ندفع ان يكون لهم شعر وتكون لهم شاعرية ،
الا اننا لا نستطيع ان نطمئن الى كل ما يروى لهم .
واذا كان لا بد من ان نورد مثلا لذلك الشعر
الفاسد المصنوع ، فنذكر هنا ما يقال من ان عليا كان اذا
سار بارض الكوفة ارتجز : (٢٥)

يا حبذا السير بارض الكوفة
أرض سواء سهلة معروفه
تعرفها جمالنا الملعوفه
فتجد هنا ضربا من الكلام لا يرقى الى بلاغة الامام ،
ويتضح هنا ان اهل الكوفة قد صنعوا ذلك في تفضيل
بلدهم .

الشعر في عهده :
لقد بويح الامام علي ، بعد ان صرعت الفتنة عثمان
ابن عفان ، وقد ورث عاي تركة سياسية — وغير
سياسية — ثقيلة باهظة ، فاتباعه ومناصروه ناظمون
على ما كان من حكم عثمان والامويون يطالبون بدم عثمان
ثم هم ينقمون على الهاشميين ان تؤول الخلافة اليهم ،

والله لقتل عثمان بن عفان اهون من خروجك من بيتك ،
على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح (٢٨) . وقد
لام سعدي اخر طلحة والزبير على اخراجهما عائشة ،
ثم اعتزل القتال وقال : (٢٩) .

**صنتم حلائلكم وقدتم امكم
هذا لمعرك قلة الانصاف**

امرت بجر نيولها في بيتها

فهوت تشق البيد بالايحاف

ثم كانت الحرب شديدة منحوسة سقط فيها من
سقط من كلا الفريقين ، وقد قتل لامرأة من عبد القيس
ابنان ، فقالت تندب ابنها وتبدي اسفها وندمها على ما
حل بالناس في يوم الجمل : (٣٠)

شهدت الحروب فشيئني

فلم ار يوما كيوم الجمل

اضر على مؤهن فنته

واقفله لشجاع بطل

فليت الظعينة في بيتها

وليتك عسكر لم ترتحل

ويعتزل الزبير القتال ، بعد ان ذكره علي بن ابي
طالب بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
طريقه خرج اليه نفر من بني تميم — وكان الاحنف بن
قيس قد اعتزل القتال مع قومه — فقتله غدرا عمرو بن
جرموز ، فبكته زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل
قالت : (٣١)

غدر ابن جرهوز بفارس بهمة

يوم اللقاء وكان غير مسد

يا عمرو لو نبهته لوجدته

لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

هبلتك امك ان قتلت لمسلما

حلت عليك عقوبة المتعمد

ونلاحظ هنا ذكرا لحكم الاسلام في القتل العمد .
وكذلك قتل في وتمعة الجمل طلحة بن عبيد الله ،
قالوا : قتله مروان حين هم بالرجوع والحق بصاحبه
الزبير (٣٢) . وفي هذا اليوم قتل محمد بن طلحة مع ابيه
وكان يدعى السجاد ، وفيه يقول قاتله : ان صريعه كثير
العبادة ، يتلو آيات الله وسط المعركة ، وقد قتلته
واستحل ذلك القتل لا لشيء الا انه لم يتبع عليا . ويبدو
ان محمدا كان يذكر قاتله بكتاب الله ، وكان يذم الحرب
ويكرها للناس ، وما خرج الا برا بأبيه (٣٣) قال قاتله :

وأشعث سجاد بايات ربه

قليل الاذى فيما ترى العين مسلم

شككت له بالروح جيب قميصه

فخر صريعا للبيدين وللهم

على غير شيء غير ان ليس تابعا

عليا ومن لا يتبع الحق ينم

على ما كان بين الحيين من منافسة وخلاف في الجاهلية
تجدد في الاسلام . وانصار عثمان من اهل المدينة يتهمون
عليا بعوده عن نصره الخليفة ، ثم ان كثيرا من المسلمين
لم يبايعوه الا على ضيم ، ومنهم من نقض بيعته وولى
وجهه شطر البصرة ليعلم الثورة عليه ، كما فعل طلحة
والزبير .

وكان من امر الشعر في عهد علي ان سجل
الحروب الداخلية بين المسلمين ، وصور نزعات
المحاربين من انصار علي وانصار معاوية ، وعرض
العصية القبلية التي كانت تظهر خلال تلك الحروب . ثم
سجل الشعر قصة التحكيم وما رافق ذلك من خروج
الخوارج على الخليفة ، وتذمر الجند ، وسخط الساخطين ،
ثم حكى الشعر مؤامرة اغتيال خليفة المسلمين وحزن
الناس عليه .

والشعر في هذه الفترة ينبض بالحبوية ، ويحفل
بالمشاركة الواسعة في الاحداث ، والشعر نفسه خير ما
يعرض الاحداث ويترجمها ويفسرها . فلنرو منه ما
يصلح لتمثيل الدين او السياسة في هذا العهد .

ذهب النعاة الى معاوية في الشام بقتل الخليفة
عثمان ، ولصقوا جريمة قتله باعناق بني عبد المطلب ،
وحرصوا معاوية على ان يثار له فهو وليه ، وقد عبر عن
ذلك الحجاج بن خزيمة بن الصمة حين خاطب معاوية ،
قال : (٢٦)

ان بني عمك عبد المطلب

هم قتلوا شيخكم غير الكذب

وانت اولى الناس بالوثب فثب

وسر مسير المحزئل المتثب

وقد صار الناس شيعتين ، الاولى سخطت على
الحكم وثاروا عليه تطالب بدم عثمان ، واخرى مع علي
تريد تثبيت كيان الخلافة واستتباب امر المسلمين ، فكان
ان تجددت الفتنة ثانية بعد عثمان ، وكان لخروج عائشة
زوج الرسول الاثر السيء في اثاره حمية الناس وسخطهم
كذلك ، فقد لقبها — وهي في طريقها الى مكة لتنضم الى
الامويين — عبد بن ابي سلمة ، وحاورها في قتل عثمان
ثم عبر عن حيرته من موقف ام المؤمنين فقال : (٢٧)

منك البداء ومنك الفير

ومنك الرياح ومنك المطر

وانت امرت بقتل الامام

وقلت لنا انه قد كفر

واذا كان الناقمون قد استغلوا خروج ام المؤمنين
وعواطفها ، وسخروا ذلك لمآربهم السياسية ، فقد كبر
ذلك الموقف على تقاة المسلمين الذين لم تدفعهم شهوات
السياسة ومكائدها ، فهاهوذا جارية بن قدامة السعدي
يلومها ويدعوها ان تقر في بيتها فيقول : « يا ام المؤمنين :

كان يطوف على الجند وهم يصلحون سيوفهم ورماحهم ،
قال : (٣٨) .

أصبحت الامة في امر عجب
والملك مجموع غدا لمن غلب
فقلت قولا صادقا غير كذب
ان غدا يهلك اعلام العرب
غدا نلاقى ربنا فنحتسب
يا رب لا تشمت بنا ولا تصب
من خلع الانداد كلا والصلب
غدا يكونون رمادا قد كتب
بعد الجمال والحياء والحسب

ويلتقي الجيشان ويكون من امرهما ما يكون ،
وترادّ الشعراء ، فيقف عمرو بن العاص في جيش معاوية
يستثير هم الجنود ، ويتهم عليا بدم عثمان : (٣٩) .

يا أيها الجيش الصليب الايمان
قوموا قياما فاستعينوا الرحمن
اني آتاني خبر فأبكيان
ان عليا قتل ابن عفان
ردوا علينا شيخنا كما كان
ويصيح رجل من اهل الشام : (٤٠)
ردوا علينا شيخنا ثم بجل
او لا تكونوا جزرا من الاسل
فيجيبه رجل من اهل العراق :
كيف نرد نعثلا وقد قمل
نحن ضربنا رأسه حتى انجعل
لما حكى حكم الطواغيت الاول
وجار في الحكم وجار في العمل
وأبدل الله به خير البدل
أقدم للحرب وأتكى للبطل

ولا شك ان هذا الشعر - ككثير من الشعر
الوارد في كتاب وقعة صفين - مزور مصنوع تظهر فيه
النزعة المتعصبة المتأخرة ، فهو الى كونه ضعيفا ركيكا ،
فيه نغمة من عثمان وشتمية له ، في وقت لم تبلغ
العصبية ضد عثمان هذا المبلغ ، بل كانت نغمة المقاتلين
ضد معاوية الذي خرج على طاعة الخليفة علي ، وليس
على عثمان خليفة المسلمين .
والشعر في هذه الموقعة كثير ، وكان للتنقيضة مكان
بارز ، فما هو ذا عبيد الله بن عمر يرتجز في جيش
معاوية محرضا على قتال علي ، فيرد عليه الاثستر
النخعي في جيش علي (٤١) . وفي هذا الشعر ضرب من
التمجد بالعصبية القبلية والزهو الذي يقتضيه المقام ،
ولا نجد فيه بعد ذلك أثرا للمحاجة السياسية او الدينية ،
كاشعر اندي سبته في التحريض على القتال والدعوة
للحرب .

ينكرني (حاويم) والرمح شارع
فهلا تلا حاويم قبل التقدم
وبعد وقعة الجمل توجه علي نحو الكوفة . وقد قال
السني يحرض على حرب معاوية الذي وسفه بالحية
الصماء . بعد القضاء على طلحة والزبير : (٣٤)
قل لهذا الامام قد خبت الحر
ب وتمت بذلك النعماء
وفرغنا من حرب من نكت العهد
وبالثام حية صماء
نفت السم ما لمن نهشته
- فارمها قبل ان تعض - شفاء
وكما حرض السني في العراق عليا . كان الوليد بن
عقبة قد كتب الى معاوية بالشام يحرضه على حرب علي
والمطالبة بدم عثمان ، قال : (٣٥) .

الا ابلغ معاوية بن حرب
فانك من أخى ثقة مليم
قطعت الدهر كالسدم المعنى
تهذر في دمشق فيما تريم
وليس اخو التراتبمن تواني
ولكن طالب الترة الغشوم

وقومك بالمدينة قد ابروا
فهم صرعى كأنهم الهشيم
وقد توجه علي تلقاء الشام لمقاتلة معاوية ، وقد
رفق العراق مع علي والشام مع معاوية فسجل الشعر
هذا الصراع والخلاف بين الفريقين ، وترادّ الشعراء ،
نكت معاوية الى علي بأبيات كعب بن جعيل : (٣٦)

ارى الشام تكره ملك العراق
وأهل العراق له كارهونا
وكل لصاحبه ميفض
يرى كل ما كان من ذاك دينا
وقالوا علي امام لنا
فقلنا رضينا ابن هند رضينا . الخ
نكتب على يجيبه بلسان النجاشي ، قال : (٣٧)
دعن معاوي ما لن يكوننا
فقد حقق الله ما تحذرونا
اتاكم علي باهل العراق
وأهل الحجاز فما تصنعونا
فان يكره القوم ملك العراق
فقدما رضينا الذي تكرهونا . الخ

ونها الفريقان للحرب وخوض معركة صفين ، ولا
شك ان المسلمين كانوا في محنة وخرج وبلاء كبير ، وقد
عبر عن ذلك البلاء ووصف المحنة كعب بن جعيل ، حين

وفي صفين سقط عمار بن ياسر صريعا ، فرثاه الحجاج بن غزية الانصاري ، بأبيات يشير فيها إلى حديث الرسول بان عمارا تقتله الفئة الباغية ، قال : (٤٢) .

قال النبي له تقتلك شرفمة

سيطت لحومهم بالبفسى فجار

فالأيوم يعرف أهل الشام أنهم

أصحاب تك وفيها النار والعار

ولما التحم الناس واشتد القتال واوشك النصر ان يحالف عليا ، رفع الشاميون المصاحف على اسنة الرماح ليكون بينهما كتاب الله ، فوصف النجاشي الحارثي ذلك بقوله : (٤٣) .

فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا

عابها كتاب الله خير قرآن

ونادوا عليا : يا ابن عم محمد

أما تتقى أن يهلك الثقلان

وقد خدع أهل العراق وتفرقوا ، وقد سئم الفريقان القتال لكثرة ما سقط من القتلى ، وفتر حماس الناس ، والاحداث الكبرى ومنها الحروب عندما تستمر وتكثر الخسائر ، يفقد الناس كثيرا من معنوياتهم ونشاطهم . وكذلك كان الامر في صفين ، فقد ظهر التذمر بين الجند وثار السخط ، ويسر ذلك للعصبية أن تظهر وتجد لها متنفسا ، فهذه امرأة عراقية تندب اولادها الثلاثة الذين سقطوا في صفوف جيش علي تقول : (٤٤)

أعيني جودا بدمع سرب

على فتية من خيار العرب

وما ضرهم غير حين النفوس

بأي امريء من قریش غلب

فهذه المرأة لا تنظر للمعركة على انها في سبيل الله وثبتت كيان الخلافة ومصلة المسلمين ، بل تراها معركة في سبيل السلطة بين حين من قریش ، او رجلين منها .

وكانت هذه النزعة المتذمرة الساخطة قد تفتشت بين الناس ، وبخاصة في جند علي ، حيث بدأ اصحابه يتخاذلون وينفضون من حوله ، يلتمسون الاعذار للرجوع أو الهزيمة ، وقد كلم الاشعث بن قيس عليا فقال : (يا امير المؤمنين قد كلت سيوفنا ، ونفدت نبالنا ونصلت اسنة رماحنا ، فدعنا نستعد باحسن عدتنا) (٤٥) وصار العراقيون يتسللون الى اوطانهم ، فلم يبق معه الا نفر قليل ، وبلغ السخط واليأس ان ارتد جماعة من المسلمين الى دين النصرانية ، فقد قيل : ان الحارث بن راشد الناجي قد سار في ثلاثمائة من الناس ، فارتدوا الى النصرانية (٤٦) وقد حارب علي هؤلاء المرتدين كما حارب الخوارج .

حتى اذا بلغ علي بن ابي طالب اجله ، تصدى له عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، فضربه ضرباته اللثيمة الائمة . وقد بكى الشعر عليا — وما زال يبكيه حتى يومنا هذا — فمما قيل عند قتله شعر لابي الاسود الدؤلي ، يعنف فيه معاوية ، ويحمله دم علي ، وينكر فضائله وسجاياه : (٤٧) .

الا أبلغ معاوية بن حرب

فلا قرت عيون الشامتينا

أهي شهر الصيام فجعمونا

بخير الناس طرا اجمينا

قتلتم خير من ركب المطايا

ونلها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذاها

ومن قرأ المثاني والمينا

اذا استقبلت وجه ابي حسين

رايت التور فوق الناظرينا

لقد علمت قریش حيث كانت

بانك خيرهم حسبا وينا

وبعد علي يظهر شعر الخوارج وينشط مناقضا شعراء الشيعة العلويين ، وفي الكتب التاريخية طرف من تلك النقائص القائمة على الحجاج الديني والمفاضلة في البر والتقوى (٤٨) .

وبعد فقد كان للشعر في عهد الامام علي اثر وخطر ، تمثل في اقبال الامام على الشعر والشعراء وتشجيعهم وصلتهم ، كما تمثل في هذه الحيوية التي عرف بها شعر الفترة فاستطاع ان يصور الاحداث ، ويحكي الوقائع ، وينقل حجج المتخاصمين ، ويمثل الحروب ويصور هولها وفجيعتها ، ويرسم صورة للعهد حافلة بكل ما فيها من وقائع دامية واحداث جزيئة مؤلمة .

يحيى الجبوري

مصادر البحث وحواشيه :

- (١) العمدة ٢٨/١
- (٢) خزائن الادب ٢٠٦/١
- (٣) العمدة ٢٩/١
- (٤) الاغانى ٥ / ٢٠ عراق : مضلة لا نهاية لها ولا غاية .
- (٥) السيرة النبوية ٤٦٧/١
- (٦) السيرة ١١/٢ — ١٢
- (٦) السيرة ١١/٢ — ١٢
- (٧) المصدر السابق ١٦٦/٢
- (٨) السيرة ١٩٧/٢ — ١٩٨
- (٩) مروج الذهب ٢٧٣/٢
- (١٠) مروج الذهب ٢٧٦/٢
- (١١) نفس المصدر ٢٩٢/٢
- (١٢) نفس المصدر ٣٦٦/٢

(٤٧) مروج الذهب ٤٢٨/٢ وانظر الكامل ١٥٧/٣ ، وفي شذرات الذهب - لابن العماد ٥١/١ ورد الشعر في مخاطبة الخوارج مع خلاف في بعض الايات :

الا قل للخوارج اجمعينا فلا قرت عيون الشامتينا

(٤٨) ينظر في مروج الذهب ٤٢٦/٢ - ٤٢٨ شعر عمران بن حطان ونقيضة طاهر بن عبدالله الشافعي .



من منسوبات دار ذات السلاسل

امرأة في اثناء

تأليف
سيد اعثمان

- (١٧) نفس المصدر ٤١٦/٢
(١٨) نفس المصدر ٤١٧/٢
(١٩) نفس المصدر ٤١٨/٢
(٢٠) نفس المصدر ٤٢٠/٢
(٢١) المصدر السابق والصفحة ٩٨-٩٩
(٢٢) تاريخ الاداب العربية ص ٩٨-٩٩
(٢٣) ادب العرب ص ٢٥٢ عن نالينو المصدر السابق
(٢٤) وينسبون الى علي القصيدة الزينية في الحكم والمواظ والتي من نظم صالح بن عبد القدوس المقتول ايام المهدي سنة ١٦٧ هـ .
(٢٥) انظر الاستيعاب ٣٤١/١
(٢٦) معجم الادباء ٢٦٢/٥
(٢٧) العقد الفريد ٢٨٢/٥
(٢٨) انظر تفصيل ذلك في كتابنا (شعر المخضرمين)
(٢٩) العقد الفريد ٢٨٧/٥
(٣٠) الاخبار الطوال ص ١٤٦ - ١٤٧ وفي كتاب وقعة صفين ص ٨٦ - ٨٧ زيادة وخلاف . المحزتل : المرتفع التلثب : المطرد المستقيم من قولهم اتلاب الامر اي استقام .
(٣١) الطبري ٤٧٧/٣ ط الاستقامة وفي مروج الذهب ٢٧١/٢ منسوبة لعمار بن ياسر قالها قبل معركة الجمل . وفيها رواية اخرى ، ينظر الكامل ٨٠/٣ جاءت بستة ابيات .
(٣٢) الطبري ٤٨٢/٣ و ٢ / ٣١٢١ ط اوربا .
(٣٣) المصدر السابق والصفحة والكامل ٨٢/٣
(٣٤) مروج الذهب ٢٧٨-٢٧٩ . وعسكر : هو جمل عائشة .
(٣٥) مروج الذهب ٢٧٣/٢
(٣٦) المصدر السابق ٢٧٣/٢ - ٢٧٤ . قيل رماه بسهم حين هم بالرجوع .
(٣٧) نفس المصدر ٢٧٤/٢ يقال ان عليا قال : (هذا رجل قتله بره بابيه وطاعته له) ينظر ٩٩/٣ .
(٣٨) الاخبار الطوال ص ١٤٤ - ١٤٥ ط حنفي
(٣٩) الطبري ٢٢٥٨/٢ ط اوربا و ٥٦٢/٣ ط الاستقامة وانظر الكامل ١١١ / ٢ . السدم : المفتاظ المحقق . ابيروا : هلكوا .
(٤٠) الاخبار الطوال ص ١٥١ ووقعة صفين - نصر بن مزاحم ص ٦٣
(٤١) الاخبار الطوال ص ١٥١ - ١٥٢ ووقعة صفين ص ٦٥ - ٦٦ وفيه خلاف عما هنا .
(٤٢) وقعة صفين ص ٢٥٣ - ٢٥٤ والكامل ١١٧/٣
(٤٣) الاخبار الطوال ص ١٦٨ ووقعة صفين ص ٢٥٦ .
(٤٤) وقعة صفين ٢٥٧ . بجل : حسب . قمل : اي نفخ يريد هنا تفضحت بطنه بعد الموت . انجمل : انقلب وسقط .
(٤٥) مروج الذهب ٢٩٣/٢ ووقعة صفين ص ٢٢٧ .
(٤٦) مروج الذهب ٣٩٢/٢
(٤٧) المصدر السابق ٤٠٠/٢
(٤٨) نفس المصدر ٤٠٥/٢
(٤٩) نفس المصدر ٤١٨/٢
(٥٠) المصدر السابق والصفحة